الفصل الخامس

التضامن الاجتماعى فى الدعاء الإنسانى

لقد جاء الإسلام والناس فوضى لاضابط لهم، قد استبد بهم ماقوض حياتهم وعاق تقدمهم فشرع لهم من المبادىء والقيم والحقوق والواجبات مابه سعدت أمة العرب ومن دان بدينهم في وقت قصير جداً من الزمن لاوزن له إذا ماقيس بحضارات الأمم.

لم يعتبر الإسلام أن الطعام والشراب مشكلة فى حد ذاتها كما ترى وزارات الشئون الاجتماعية بل نظر إليها من جهتين:

الجهة الأولى: أن الطعام والشراب مكفولان للجميع لمن آمن ولمن كفر وللإنسان وغيره من سائر المخلوقات لقوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾[1] حتى الطير لأنه يدب على الأرض للسقى والتقاط الحب.. فهذه قضية حل إشكالها بهذه الآية الكريمة.

كما حلت بآية أخرى فى سورة العنكبوت وهى قوله تعالى: ﴿**وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم** ﴿٦٠﴾﴾[2].

ولقد طمأن الله ابن آدم طمأنينة كاملة حيث أقسم له تعالى على ذلك فى سورة الذاريات حتى لايركب متون الخطر فى سبيل لقمة العيش فقال تعالى: ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴿٢٢﴾ **فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴿٢٣﴾﴾[3].

---

(١) هود: ٦.

(٢) العنكبوت: ٦٠.

(٣) الذاريات: ٢٢.

فالله تعالى يقول للبشرية جمعاء أن رزقكم مكفول عندى وطعامكم وشرابكم واقع لامحالة ومايتبغى أن تشكوا فى ذلك فكما تتيقنون نطقكم فكذلك لاتشكون فى رزقكم.

أما مايراه البعض من أن بعض الخلق يموت جوعاً فمرد، أمران اثنان هما:

١- سوء التوزيع المالى بين الناس.

٢- ومعاصيهم التى يمتحنون بالبلاء من أجلها فيصيبهم الجوع والعرى. لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾[1] حتى من دقة القرآن أنه عبر عن هذا بالبعضية فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ﴾ .. إلخ. أى ببعض هذه الأمور للاعتبار والعظة والرجوع إلينا ولم يهدف القرآن إلى الحرمان الكامل بل ابتلى عقوبة واختباراً وفتحاً لباب التوبة ونشر التعاون بين الناس حتى يمد القوى الغنى الفقير باحتياجاته.. فالإصابة بالجوع والعطش لاتخلف كفالة الله بأرزاق العباد بل للإختبار والبلاء وفتح المجال للعودة إلى الله تعالى، وحث الهمم الصادقة من المسلمين لمساعدة إخوانهم البؤساء والمحرومين.

الجهة الثانية: هى أن الإسلام فرض حقاً معلوماً من أموال الأغنياء لفقرائهم فإن لم يف بحاجاتهم فعلى الحاكم أن يأخذ من فاضل أموالهم ليردها عليهم وليسد به عوزهم.

الإسلام ومشاكل الإنسان الحقيقية

لهذا لم ير الإسلام أن مشكلة الإنسان هى طعامه وشرابه بل مشاكله الحقيقية غيرذلك. وأهمها مايلى:

١- مشكلة العقيدة. ٢- الأخلاق. ٣- السلوك. ٤- الجنس.

٥- الفكر والعقل. ٦- النفس. ٧- الأنانية. ٨- الاقتصاد.

١- أما مشكلة العقيدة: فقد حلها بأيسر طريق ذلكم العربى الذى لم يتخرج من جامعاتنا المعاصرة حيث قال: البعرة تدل على البعير والسير يدل على

(٢) البقرة: ١٥٥.

المسير . . إلخ وقال القرآن الكريم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[1].

وآيات الوحدانية وصفاته وأفعاله تعالى منبثة بكثرة فى القرآن الكريم، كما أن السنة النبوية مليئة بذلك كاشفة وموضحة. . والبراهين العقلية والنقلية زاخرة أيضاً.

٢- المشكلة الأخلاقية: لقد وضع الإسلام من قواعد الأخلاق ماعجزت عنه عباقرته أن يصلوا إلى ماوصل إليه ويكفى أن نذكر حديث رسول ﷺ القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فقد حثت الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة على الصدق والأمانة والعفة والشرف وعلى كل خلق كريم من شأنه أن يساعد المجتمع الإسلامى على أن يعيش فى سعادة وارفة الظلال. .

٣- المشكلة السلوكية: رأى الإسلام أن النظريات الأخلاقية التى أمر بها المسلمين وحثهم على التحلى بها والتمسك بأهدافها لايقطفون ثمارها إلا إذا نفذوها وجعلوها سلوكهم فى الحياة مع كل كائن، لأن العبرة بالعمل لا بالقول، وبالتطبيق لابالكلمات والألفاظ، ولذلك قال الله تعالى فى شأن رسولهﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[2].

ولهذا فالإسلام يطالبنا بالتطبيق العملى لكل نظرية أخلاقية وردت فى القرآن والسنة.

٤- المشكلة الجنسية: هى من أهم مشاكل المجتمعات المعاصرة ولقد كانت النظم القديمة والتقاليد والعادات المستحدثة والمستوردة عقبة كئود فى حل هذه المشكلة بل ساهمت بنصيب أوفر فى تعقيدها فرفع سن الزواج للذكور والإناث كان سبباً مهماً للإنحراف الجنسى، ولقد ساعدت على ذلك وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمقروونة بما تحمل من دعوة إلى الجنس بتصويره فى أشكال متعددة وتيسيره والتشجيع عليه.

---

(١) آل عمران: ١٨.
(٢) الأحزاب: ٢١.

وزاد الطين بلة توظيف النساء مما دعى إلى تأخر الزواج حتى التخرج من الكليات وإعداد السكن المناسب والأثاث الحديث الجميل وهلم جرا. . حتى أصبحت الفتاة تعرف كل شيء عن الجنس حيث جاوز بعضهن الثلاثين عاماً أى كانت صالحة للزواج منذ خمسة عشر عاماً فكيف قضت هذا الوقت الطويل وهى فى سن المراهقة الجنسية.

لقد عالج الإسلام مشكلات الجنس بأكثر من طريق بإعداد الفتاة إعداداً صالحاً لتكون زوجة وأما وربة بيت ممتازة وصانها من ذئاب البشرية ففرض عليها الحجاب وستر جميع بدنها إلا الوجه والكفين وأمرها بغض بصرها والبعد عن الإختلاط بغير المحارم وبالمحارم إن كان غير مرضى السلوك والأخلاق، وأمرها بعدم الخروج من الدار إلا للضرورة وليست الوظيفة ضرورة لأن المرأة ماخلقت لتسعى على لقمة عيشها أو لتنفق على غيرها فضلاً عن نفسها بل النفقة واجبة على غيرها من الرجال ممن تحملوا مسئولياتها.

كما عالج الإسلام مشكلة الجنس بالصوم والرياضة البدنية، وهكذا وضع الإسلام قواعد متينة ونقية للحفاظ على عِرض المرأة كما وضع قواعد تنظيمه..

وأن الكلام فى هذا الموضوع يطول شرحه والمقام لايتسع لهذا..

٥- **المشكلة الثقافية**: مشكلة الفكر والعقل حرص الإسلام أن يجعل مصدرها القرآن والسنة وسير الصالحين من عباد الله، وحث العقل والفكر بالتزود من فضائل النظريات ومكارم القضايا الأخلاقية، ومدح الإسلام العقلاء وأولى الألباب الذين يشحنون عقولهم بالمعارف والثقافات النافعة لهم ولدينهم وأوطانهم ويبتعدون عن الخرافات والعقائد الفاسدة والمعارف المبتذلة الرخيصة الهادفة إلى الجنس والجريمة وسوء الخلق وهدد الله اللسان بقوله: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وامتدح أولى الألباب قائلاً ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴿١٩٠﴾ ﴾[2] وذم الكفار فقال: ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ**

---

(١) ق: ١٨.

(٢) آل عمران: ١٩٠.

obeikandl.com

بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[1].

٦- **مشكلة النفس:** لقد امتلأت المستشفيات والمصحات بمرضى الأمراض العصبية والنفسية ولعل السبب فى هذا الحياة العصرية التى نعيشها اليوم بكل مافيها من تحلل وانحراف.. وما العلاج منها إلا بالعودة إلى رحاب الإسلام والتزود بثقافة القرآن الذى قال الله فيه: ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** ﴿٨٢﴾ ﴾[2].. فللوقاية من العقد النفسية وللتقليل منها بل وإزالتها لابد من ملء هذه النفس بالآيات القرآنية والعمل على تلاوتها وتكرارها فى الصباح والمساء وعلى ضوء هذا بمشيئة الله يزول كل فكر سقيم وألم نفسى وتعود الروح لصفائها والنفس لفطرتها النقية الطاهرة لقول الله تعالى: ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴿٩﴾ ﴾[3].. وبالتقوى والإستقامة يجعل الله للمرء مخرجاً من كل مايضايقه سواء كانت مضايقات نفسية أو غير نفسية لقوله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** ﴾[4]... الآية.

٧- **مشكلة حب النفس:** هذه المشكلة من المشاكل الهامة التى قد تكون سبباً لتقدم الإنسان وازدهار وطنه إن دخلت من باب التنافس وإلا فذلكم الحب الممقوت والأنانية البغيضة حيث أن الأنانى الذى يحب نفسه يرى كل الخير لها لالغيرها، ولذلك حث القرآن على نبذ هذه الصفة وطرحها خلف الظهور حتى لاتحطم صاحبها أولاً والأسرة ثانياً والمجتمع ثالثاً..

ولهذا كله قال المصطفى ﷺ: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه».

٨- **مشكلة الإقتصاد:** دعا القرآن إلى الأخذ بمبدأ الإقتصاد فى كل شئون الحياة فلا تبذير ولاتقتير.. فقد قال الله تعالى: ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴿٢٩﴾ ﴾[5].. وقال جل شأنه ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[6].

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) الإسراء: ٨٢.

(٣) الشمس: ٩.

(٤) الطلاق: ٢.

(٥) الإسراء: ٢٩.

(٦) الأعراف: ٣١.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[1].

ومشكلة السياسة والإسكان والمواصلات وزيادة المواليد وغيرها قد جعل الإسلام لها حلاً ميسوراً فى كلمات معدودة ألا وهى التحلى بالتقوى ـ والإيمان ـ والتوكل ـ والاعتماد على الله ـ والإخلاص ـ والإتقان.. إلخ.

قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[2] .. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[3] هذه المشكلات سابقة الذكر وغيرها لوتركت على عواهنها دون علاج بتعاليم الإسلام قد تؤدى إلى أوخم العواقب وأسوأ النتائج. وأى علاج بعيد عن نطاق القرآن والسنة الشريفة فهو داء الأدواء وسم زعاف يفتك بالمريض بدل على أن يشفيه ويبرئه.

ومن خلال هذه المشكلات يتأتى التعاون الذى أمرنا الله فى قوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[4].

وأى مشكلة من هذه المشاكل حلها يتوقف على أحد أمرين أوهما معاً: الحل الوقائى والحل العلاجى.. أما الحل الوقائى: فيكون بتقديم النصيحة والإرشاد والتوجيه للإبتعاد أولاً عن كل مايسبب المشكلة ويوجدها. وقد يكون من طرقه تقديم المساعدات المالية والعينية.. والحل العلاجى: يكون بالعمل الجاد المتواصل سواء كان بالمجهود المالى أو اليدوى أو الثقافى. وعلى كل حال فمجال التعاون بين الناس واسع ومتعدد الجوانب والأبواب.. يشمل الإبتسامة والكلمة الطيبة والنصيحة المخلصة والقول الصادق والحسب والنسب والجاه والسلطان والمال والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإنذار والتبشير والتفاؤل والتحذير وغير ذلك مما يعود على الفرد والجماعة بالخير. وقد يكون كل ذلك ميسر صدوره من إنسان، وقد لايتأتى إلا بعضه، وقد لاتساعد الظروف.. فى تحقيق شىء منه.

قد يقوم الإنسان فى مجال التعاون بشىء مماسبق غير أنه قد يتحقق هدفه منه وقد لايتحقق إلا أن هناك نوعاً من التعاون البناء سهل ميسور على كل إنسان لايحتاج إلى جهد عقلى ولاجسمى ولامادى هذا بالإضافة إلى أنه محمود العواقب مضمون النتائج هذا النوع هو المسمى «بالدعاء».

---

(١) الطلاق: ٣.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣، ٤) الطلاق: ٤.

أهمية الدعاء فى حياة الإنسان وأثره فى المجتمع

الدعاء: هو أرقى أنواع التعاون لأنه أفضل أنواع العبادة ولأنه أضمن الأعمال نتيجة وأقرب الطرق إلى الهدف المنشود.. فهو عنصر فعال فى يد كل راغب فيه، وهوسلاح فتاك لمن استعمله ضد الأعداء لم يطلب الله من عباده الوساطة إذا دعوه أو ناجوه.

والدعاء: ماهو إلا كلمات تخرج من القلب ثم تجرى على اللسان لايبغى بها صاحبها إلا الخير لمن رصدت له فتستجيب السماء لذلك الداعى لغيره المخلص لخلصائه الوفى لخلانه الحميم لأصدقائه.

فالدعاء دعامة قوية لتوطيد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع وتوسيع دائرة الأخاء بين الناس وتعميق جذور الود والصفاء لدى نفوس الجميع. وقد لايكون الداعى عنده المال الكافى ولا الثقافة المطلوبة ولا الحسب ولا النسب فهل يموت وتموت معه آماله، وهل من الخير أن يصبح عضواً أشل فى المجتمع يستطيع القيام بواجبه ولايستطيع حراكاً إزاء مشاكله ومشاكل مجتمعه ووطنه وبنى جلدته..؟!

إن كان الإنسان لايستطيع أن يقدم أى عون لأخيه الإنسان لفقدانه كل هذا أو بعضه فإن الدعاء يناديه بأعلى صوت هلم إلى أيها الإنسان فكل رغباتك أحققها لك وماتبتغيه أنفذه لك وما عليك إلا أن تستوفى شرائطى وتتجه إلى الله بلسان الصدق داعيا لمن أردت مساعدته فى أى نوع من أنواع المساعدة أفعل ذلك تجدنى معك دائما أبداً لاأنسل منك ولاأبعد عنك أنا قريب منك جار على لسانك وشفتيك.. فإذا ما تم ذلك تقبلنى الله وحقق لك ماتريد لنفسك ولمن دعوت له.

وكما صح وجاز أن ينتفع الإنسان بكل خير ومجهود يقدمه للغير فمن باب أولى أن ينتفع ذلك الغير بالدعاء خصوصاً إذا كان للأخ بظاهر الغيب.

فالدعاء خير وسيلة للتكافل الإجتماعى، وأعظم هدية يقدمها الإنسان لأخيه الإنسان، وبالرغم من عظم شأنه ورفعة مكانه عند الله فهو لايكلف الداعى شيئاً لأنه لايرتكز على الحسب والنسب والوساطة والجاه بل هو لاسلكى كل حى، حيث يتصل العبد بربه لشأن من شئونه أو شئون غيره من بنى عقيدته ووطنه

فلاينتظر تحويلة المكالمة باليوم أو الساعات.. بل حينما يقول العبد يارب يقول الرب لبيك عبدي وسعديك فما أسرع هذا الإتصال ومامضى هذا السلاح وما أنجع هذا الدواء وما أنفع هذا الشفاء من كل داء أنه الدعاء مخ العبادة وسلاح المؤمن.

والدعاء بهذه الصورة منفعة متبادلة مأمونة العواقب مضمونة النتائج، عملة صعبة كما يقول اقتصاديو هذا العصر.

ولذلك لم توضع له شروط شاقة ولاقواعد جافة لقبوله وتحقيقه سوى الصدق والإخلاص وماشابه ذلك من الشروط التي لاتكلف الداعي مالا أو جهداً.

فيجوز الدعاء من الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والمؤمن والكافر والصالح والطالح والحر والعبد والمعصوم وغير المعصوم والعربي والأعجمي والأبيض والزنجي والموحد والملحد.. إذ الدعاء مناط بنفس عاقلة مفكرة ناطقة تستطيع العطاء والمنع ولايكون ذلك إلا في نسل ابن آدم وقليل من الجن والملائكة.

الدعاء مفتاح السعاده وأفضل صور التضامن الاجتماعي والتكافل الإنساني

فلايترك ابن آدم طريقاً يؤدي به إلى السعادة إلا ودعا الله أن يحققه له ويمنحه إياه ويديمه عليه.

والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي استخلفه الله في أرضه ليقيم شرعه وينشر عدله فجعله ظله في خلقه فطوع له الحياة بما منحه من نعمة العقل غير أن هذه الحياة من شأنها لم تدم لأي إنسان بل أيامها قلب حيث يتصارع خيرها مع شرها وظلامها مع نورها، وصفوها مع كدرها والإنسان بين رحاها فتارة تكفهر في وجهه فيبدو هزيلاً ضعيفاً مشدوهاً لايستطيع حراكا ولاهرباً من قسوة مانزل،وعظم ماحل به فيجأر إلى الله ضارعاً كسير الفؤاد دامع العين آملاً معه أن يرفع عنه ماحل به من بلاء .. وتارة تنفتح أسارير الدنيا لهذا العبد فيهش لها ويأمل منها تحقيق آماله وأحلامه راغباً في حياة سعيدة بمافيها من معنى السعادة..

فيبذل ذلك المسكين جهده ويفرغ طاقته فى الحصول على ذلك أو بعضه غير أنه يكتشف من نفسه العجز وعدم القدرة على الإنجاز ويظهر له جلياً أنه غير قادر على التنفيذ وغير مستطيع إلى الوصول فيتجه إلى الكريم الذى لاتنفذ خزائنه يرجوه العطاء والسعة بكرم وسخاء يليق بذاته الطاهرة وتزداد نفس ذلك صفاءً وطهراً وشفافية فيتمثل له المستقبل البعيد قريباً، يتمثل له اليوم الآخر أنه قاب قوسين أو أدنى. ذلك اليوم الذى سوف يلقاه بماقدم من عمل فيرفع أكف الضراعة إلى خالقه ليجنبه العذابين، عذاب القبر وعذاب النار، ويزيل عنه ما يعترى العباد من شدة وكرب فى مواقف البعث والحشر والحساب وأن يمن عليه بالصفح والعفو والمغفرة وواسع الرحمة فيدخله الجنة التى أعدها لعبادة المتقين.

وكما يلقى الفرد الشدائد والصعاب فى حياته الدنيا ثم يطلب الغوث والنجدة من الله فكذلك الجماعة حينما تستهدفها المحن والبلايا تجأر إلى الله ليصرف عنها السوء.

ومن أجمل وأعظم مايراه المسلم من خلال الأدعية الواردة فى القرآن والسُّنة مجيئها على صورة الجمع، ومما نلاحظه أيضاً فيها أنها غيرمنسوبة لقائل وهذا مما يرفع مكانة هذه الأدعية ويُعلى قدرها كما يوحى بأن الأمر بها هو الله تعالى فكانت فى الدرجة العليا من القبول.. انظر قول الله تعالى فى سورة الفاتحة:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾[١].

نجدها قد صيغت بصورة الجمع ولم تنسب لقائل ممايدفع المرء إلى الإعتقاد بأنها من وحي الله الذى أمر العباد بترديده صباح مساء لتدوم الصلة بين العبد وربه داعياً متضرعاً ولذا جاءت فى سورة الفاتحة التى لاتصح الصلاة بدونها.

وانظر قوله تعالى أيضاً فى آخر سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[٢].

---

(١) الفاتحة: ٦، ٧.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

نجد أن هذا الدعاء غير منسوب إلى قائل من البشر وإنما هو دعاء تعبد الله به عباده أن يرددوه فتزدان به نفوسهم وتطمئن به قلوبهم،وتسود روح المحبة والإخاء بينهم.

وإنك لتجد الكثير من أدعية القرآن الكريم على هذه الصورة وإن تعجب فاعجب لسلوك السنة هذا المسلك ومطابقتها القرآن الكريم فى هذا المضمار حيث ترى أن معظم أحاديث الرسول ﷺفى صورة الجمع.. ففى مقام الحرب يروى أبو موسى الأشعرى أن النبى ﷺ «كان إذا خاف قوماً قال: إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»[١].

ويروى جابر عن الرسول ﷺ أنه قال: «لاتتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون ماتبتلون به منهم فإذا لقيتموهم فقولوا: أنت ربنا وربهم، وقلوبهم بيدك وإنما تغلبهم أنت»[٢].

وحين خرج رسول الله ﷺ يتفقد أحوال المهاجرين والأنصار عند حفر الخندق،فرآهم يحفرون فى غداة باردة، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة.. فاغفر للأنصار والمهاجرة».

ولقد سلك الإسلام بقرآنه وسنته هذا المسلك الجماعى فى الدعاء لكى يعرف المسلم أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وأنه لا حياة للأفراد إلا فى نطاق الجماعة، ولقد خلق الله الذكر والأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا فيتعاونوا فيثمروا فتستقيم الحياة وينعم الجميع، وترفرف السعادة ورايات الأخوة الصادقة على الجميع ومن أجل هذا جاء الدعاء بصورته هذه ليعيش المسلمون حياة سعيدة وارفة الظلال.

والإسلام الحنيف عقد بين المؤمنين عامة عقد الأخوة الذى نقلهم إلى دائرة الأسرة الواحدة على تنائى ديارهم وتباعد أقطارهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣].. وبالغ فى محبة المسلمين بعضهم لبعض حتى جعلها شرطاً فى الإيمان فقال ﷺ: «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا».

---

(١) رواه أبو داود والنسائى.

(٢) رواه ابن السنى.

(٣) الحجرات: ١٠.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن الإسلام دعا أتباعه المسلمين لأن يدعو بعضهم لبعض بالخير في كل مناسبة طيبة وعند كل لقاء وبخاصته في أزمان البر وأماكن الطهر بل حثهم على الدعاء لإخوانهم بظهر الغيب أي وهم غائبون عنهم.

انظر إلى قول الله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[١].. فهذه الآية تعليم للمسلمين الذين عايشوا الحياة بعد المهاجرين والأنصارأن يرفعوا أكف الضراعة بالدعاء لهم وهو وإن كان تعليم للتابعين فهو أيضاً لكل مسلم أن يدعو به أي يدعو لنفسه أولاً ثم يدعو لمن سبقه إلى دار الآخرة فأفاد هذا الدعاء «فضلاً عن كونه تعليماً» الإعجاز لإخباره عن مغيب سيقع بعد نزوله وقد ثبت ذلك بتلاوة المسلمين لهذه الآية وبدعائهم لمن سبقوهم جميعا في أدعيتهم الخاصة.

فهذه الآية تشعرنا بأن نطلب المغفرة لمن سبقنا بالإيمان إلى عالم الآخرة كما تعلمنا الرجاء من الله أن يزيل مافي نفوسنا وقلوبنا من غلّ لإخواننا الذين هم على قيد الحياة. وهكذا يعلم القرآن كل جيل من الأجيال المسلمة الدعاء لنفسه ولمن سبقه ولمن عاصره من المسلمين.

ولقد ضربت السنة المحمدية بسهم وافر في هذا المضمار، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل مادعوت»[٢].

وبهذا نستطيع القول بأن الدعاء يشق طريقه إلى الأفراد ليجمع صفوفها، ويوحد خطوها، ويحدد هدفها، فإن دعوة الأخ لأخيه أجمل هدية يهديها إليه لأنه يذهب بها وغر صدره ويجلب له بها المسرة، ويوطد بها أواصر المحبة، وينمي بينهما روح التضحية،ويغرس شجرة الصفاء والإخاء والتعاون بين الجميع.

فالدعاء هو أفضل صور التضامن الإجتماعي والتكافل الإنساني بما يحمل في طياته من معاني الحب وتنمية أواصر الإخاء بين مختلف بني البشر.

---

(١) الحشر: ١٠.

(٢) رواه مسلم، وأخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ في مستخرجه.